﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: 86 - 88]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعد التَّحذيرِ مِنِ اتِّباعِ إبليسَ؛ أمَرَ اللهُ رسولَهُ بالبَراءةِ مِن طَريقِه

لَمّا تَمَّ ما أرادَ اللهُ مِنَ الدَّليلِ على أنَّ ما ذَكَرَ النَّبيُّ ﷺ للمُشرِكينَ نَبأٌ عَظيمٌ هم عنه مُعرِضونَ - بما أخبَرَ به مِن الغَيبِ معَ ما له مِن الإعجازِ - فثَبَت بذلك ما اقتضَى أنَّه صادِقٌ في نِسبتِه إلى اللهِ تعالى، وخَتَم بالتَّحذيرِ مِن اتِّباعِ إبليسَ؛ أمَرَ تعالَى نبيَّه بالبَراءةِ مِن طَريقِ إبليس، وأنْ يَنفيَ عن نَفسِه ما قدْ يُحمَلُ على التَّقَوُّلِ بقَولِه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[1].

بعد تبليغِ المشركين، قرعَ أسماعَهم بالحُجَّةِ عليهم

ولَمّا أمَرَ اللهُ رَسولَهُ بإبلاغِ المَواعِظِ والعِبَرِ الَّتي تَضَمَّنَتْها هذه السّورةُ؛ أمَرَه عِندَ انتِهائِها أنْ يَقرَعَ أسماعَهم بهذا الكَلامِ الذي هو كالفَذلَكةِ لِلسّورةِ تَنهيةً لها؛ تَسجيلًا عليهم أنَّه ما جاءَهم إلّا بما يَنفَعُهم، وليس طالِبًا مِن ذلك جَزاءً، أيْ: لو سألَهم عليه أجْرًا؛ لَراجَ اتِّهامُهم إيّاه بالكَذِبِ لِنَفعِ نَفْسِه، فلَمّا انتَفَى ذلك؛ وجَبَ أنْ يَنتَفيَ تَوهُّمُ اتِّهامِه بالكَذِبِ؛ لأنَّ وازِعَ العَقلِ يَصرِفُ صاحِبَهُ عن أنْ يَكذِبَ لِغَيرِ نَفْعٍ يَرجوه لِنَفْسِه[2].

بعدَ طلبِ وجوبِ الاختياطِ في طَلَبِ الدّينِ جاءَ الأمرُ بالنَّظرِ في حالِ الدّاعي

بعدَ أنْ ذَكَرَ القرآنُ طُرُقًا كَثيرةً دالَّةً على وُجوبِ الاحْتياطِ في طَلَبِ الدّينِ، خَتَمَ بأنْ يُنْظَرَ في حالِ الدّاعي، وهو النَّبيُّ ﷺ، وفي حالِ الدَّعْوةِ، ليَظْهَرَ أنَّه حقٌّ أو باطِلٌ، ليقيمَ الحجَّةَ على الكافرين، فقال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 432.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 308.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/ 416.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾: أصْلُ (سأل) الاسْتِدْعاءُ والطَّلَبُ، سألهُ الشَّيءَ: طلبَ منه أنْ يعطيَهُ إيّاه، ومِن مَعانيهِ أيضًا: الاسْتِفْهامُ، والاسْتِخْبارُ، والاسْتِعْلامُ، والاسْتِفْسارُ[1]، والسُّؤالُ: استِدعاءُ معرفةٍ، أو ما يُؤَدّي إلى المعرفة، واستدعاءُ مالٍ، أو ما يُؤَدّي إلى المال، والسُّؤالُ للمعرفةِ قد يكونُ للاسْتِعلامِ، وقد يكونُ لِلتَّبْكيتِ، واستدعاءُ المعرفةِ جوابُهُ باللِّسان، وتنوبُ عنه اليدُ، أي: بالكتابةِ والإشارةِ[2]، وإذا كانَ السُّؤالُ طَلَبَ بَذْلٍ؛ عُدّيَ فِعْلُ السُّؤالِ بِنَفْسِهِ، وإذا كانَ طَلَبَ إخْبارٍ؛ عُدّيَ الفِعْلُ بحرف (عن) أو ما يَنوبُ مَنابَهُ[3]، ومعنى ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ في الآية: ما أطلبُ منكم[4].

2) ﴿أَجْرٍ﴾: أصلُ (أجر) الكراءُ على العَمَلِ[5]، ومنه سُمّيَ الثَّوابُ أجْرًا؛ لأنَّ اللّهَ يَجْزي العَبْدَ عليه، والأجْرُ: العِوَضُ، والأجيرُ: فعيلٌ بمعنى فاعل أو مفاعل، والاستئجارُ: طلبُ الشَّيء بالأجرة[6]، والمقصودُ بالأجر في الآية: العِوَضُ والجَزاءُ على العَمَلِ، والمعنى: لا أطلبُ منكم من أجرٍ تعطونيهِ عليه، أو جعْلٍ تجعلونه لي من مالٍ دنيويٍّ[7].

3) ﴿ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: مِنَ التَّكلُّفِ، وتكلُّفُ الشَّيءِ هو ما يَفعلُهُ الإنسانُ بإظهارِ كَلَفٍ مع مشَقَّةٍ تنالُهُ في تَعاطيه، والتَّكلُّفُ: اسمٌ لِما يُفعلُ بمشقَّةٍ أو تصنُّعٍ أو تشبُّع، فصارتِ الكُلْفَةُ في التَّعارُف اسمًا للمَشَقَّة[8]، وتَكَلَّفَ الأمرَ: اجتَهَدَ يُبَيِّنُ فيه أثَرَهُ، وكَلَّفَهُ: ألْزَمَهُ ما يَظهَرُ فيه أثره، والتَّكليفُ: الإلزامُ[9]، ومعنى ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، أي: لا أتكلَّفُ، ولا أتخرَّصُ ما لم أؤمرْ به[10]، فما أنا بمدَّعٍ النُّبوَّة باطلًا مِن غير أنْ يوحى إليَّ[11].

---

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب، وعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (سأل).
(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (سأل).
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/ 194.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 24/ 453.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(6) الراغب، المفردات: (أجر).
(7) الهرري، حدائق الروح والريحان: 24/ 454.
(8) الرَّاغِب، المفردات: (كلف).
(9) الأزهري، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كلف).
(10) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 230.
(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 308 - 309.

4) ﴿ذِكْرُ﴾: أصلُ (ذكر) قوَّةُ الشَّيءِ وصلابةُ مادَّتِه، ومنه الذِّكْرُ: جَرْيُ الشَّيءِ على لسانكَ؛ إذ به يقوى وجودُهُ في الأسماع والقلوب، وهو أيضًا: الحِفْظُ للشَّيءِ، والعَلاءُ والشَّرَفُ[1]، والذِّكْرُ: الكتابُ الَّذي فيهِ تَفْصيلُ الدّين، وكلُّ كتابٍ من كُتبِ الأنبياء ﷺ هو ذِكْرٌ[2]، فالذِّكْرُ الكَلامُ الموحَى بِهِ؛ ليُتْلَى، ويُكَرَّرَ، فهو للتِّلاوَةِ؛ لأنَّهُ يُذْكَرُ، ويُعادُ، ولأنَّ فيه تذكيرًا باللهِ واليَومِ الآخِرِ، أو لأنَّه بمعْنَى أنَّ به ذِكْرَهُم في الآخَرينَ[3]، والمقصودُ بالذِّكر في الآية: الكَلامُ الموحَى بِهِ، أي: القُرْآنُ[4].

5) ﴿نَبَأَهُۥ﴾: أصلُ (نبأ) الإتيانُ مِن مَكانٍ إلى مَكانٍ، يُقالُ لِلَّذي يَنبَأُ مِن أرضٍ إلى أرضٍ: نابِئٌ، ومنه النَّبَأُ: الخَبَرُ؛ لِأَنَّهُ يَأتي مِن مَكانٍ إلى مَكانٍ، والمُنبِئُ: المُخبِرُ، وهو ظُهورٌ مَسبوقٌ بِخَفاءٍ[5]، والنَّبأُ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصلُ به علمٌ أو غلبةُ ظنٍّ، ولا يُقال للخبر نبأٌ حتَّى يتضمَّنَ هذه الأشياء الثَّلاثة، ويكون صادقًا[6]، ومعنى: ﴿نَبَأَهُۥ﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللُّغَويِّ، أي: ستعلمون خبرَ هذا القرآن بعد زمانٍ علمًا جازمًا، فيزولُ شكُّكم فيه[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أمَرَ اللهُ تعالى نبيَّه محمَّدًا ﷺ أن يقولَ لِمُشركي قَومِه: لا أسألُكم على هذا الذِّكرِ، وهو القرآنُ الَّذي أتيتكم به مِن عندِ الله، أو على تَبْليغي إيّاكم رِسالةَ رَبّي أجرًا دُنيويًّا، وما أنا مِنَ الذين يَتصنَّعون، ويتَحلَّون بما ليسوا مِن أهلِه حتَّى أنتحِلَ النُّبوَّةَ، وأتقوَّلَ القُرآنَ،

دعـوةٌ تقريعٍ للمشركين لإعراضِهم عن صادقٍ لا يطلبُ إلّا نفعهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ذكر).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (ذكر).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 14/ 16.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 83، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 309.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (نبأ).
(6) الراغب، المفردات: (نبأ).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 310.

ومِنْ ثَمَّ ما هذا القُرآنُ إلّا تَذكيرٌ مِنَ اللهِ تعالى للعالمين مِنَ الجِنِّ والإنسِ، وشَرَفٌ عَظيمٌ لهما في اتِّباعِ أوامِرِه وتَرْكِ نَواهيه، ولَتَعلَمُنَّ أيُّها المشركون باللّه مِن قريشٍ صِدقَ أخْبارِ القُرآنِ، وتحقُّقَ ما فيه، وحقيقةَ ما فيه من الوعدِ والوعيد، بعدَ وقتٍ مِنَ الزَّمانِ، مُحدَّدٍ في عِلمِ اللهِ تعالَى[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل الآية عمّا قبلها:

خطابٌ للمشركين بالدَّعوةِ الخالصةِ للنَّجاة

فَصَلَ النَّظمُ الحكيمُ جملة: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ عمّا قبلها: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ولم يربطْ بينهما؛ لِما بين الجملتَين من كمالِ الانقطاع، لاختلافهما خبرًا وإنشاءً، فالجملةُ الأولى خبريَّةٌ، والثّانية: إنشائيَّةٌ؛ ولهذا تعيَّنَ الفصلُ بينهما، وقد جاءتْ جملة: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ استئنافَ خطابٍ للنَّبيِّ ﷺ؛ ليُلقي على المشركين القولَ الأخيرَ، وهو الدَّعوةُ الخالصةُ للنَّجاة، الَّتي لا يطلبُ صاحبُها أجرًا دنيويًّا، ولا يتكلَّفُ، ولا يتصنَّعُ، ولا يأمرُ إلّا بما يوحيه منطقُ الفطرةِ القريب، بما يقيمُ به عليهم الحجَّة.

سرُّ التَّعبيرِ بالأمر ﴿قُلْ﴾:

خطابٌ يُظهرُ أهمّيَّةَ المقولِ وصِدقَ النَّبيِّ الرَّسول

خاطبَ البيانُ الإلهيُّ النَّبيَّ ﷺ في قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ بفعلِ الأمر ﴿قُلْ﴾، ولم يخاطبِ المشركين بشكلٍ مباشر؛ لتوجيهِ الأسماعِ إلى مضمونِ ما سيُلقى عليهم، أي: لبيانِ أهمّيَّةِ المقول، فإنَّ أصلَ الأمرِ بالقول في مقامِ التَّصدّي للتَّبليغِ دالٌّ على الاهتمام، ولتوكيدِ صدقِ الرِّسالةِ النَّبويَّة، وأنَّ مضمونَ القول هو من عندِ اللهِ سبحانه، والإيذانِ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّما هو منتدبٌ لأداءِ هذه المهمَّة، وليس مندفِعًا فيها بالفضولِ ولا متصنِّعًا ولا زائدًا ولا منقصًا،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 243، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 239.

وليس متوخّيًا منها أجرًا ولا منفعةً، وإنَّ هذا الذي يبلِّغه عن الله هو ذكرٌ للعالمين أجمعَ، ولسوف يتحقَّقون مصداقَهُ ومداهُ، والمتبادرُ أنَّ الآياتِ قد استهدفَتْ فيما استهدفَتْهُ تسليةَ النَّبيِّ ﷺ وتثبيته في الوقت نفسه[1].

ويمكن أنْ يكونَ ضميرُ المخاطَبِ بالأمر ﴿قُلْ﴾ كلَّ واحدٍ من المسلمين المكلَّفين، فهو مأمورٌ بأنْ يقولَ ذلك، بما يحمِّلهم مسؤوليَّةَ التَّبلُّغ، ويدلُّ على أسلوبٍ حواريٍّ استدلاليٍّ في إقامةِ الحجَّة.

غرضُ الأمر في الفعل ﴿قُلْ﴾:

مدحٌ وتكريمٌ لرسولِ اللهِ وتذكيرٌ للمشركين من حالهِ بما يقيمُ الحجَّةَ عليهم

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أمرٌ حقيقيٌّ، طُلِبَ فيه الفعلُ من رسولِ الله ﷺ على وجهِ الاستعلاءِ، أنْ يقولَ لهم عن نفسهِ هذه المقالة، بغرضِ المدحِ والإكرامِ للنَّبيِّ ﷺ بكونه المكلَّف بالتَّبليغِ عن اللهِ، وبالتَّهديدِ والوعيدِ للمشركين، وبغرضِ التَّذكيرِ للمشركين بما علموه من حالِ النَّبيِّ ﷺ، والاستشهادِ عليهم بذلك من أنَّه لا يطلبُ أجرًا منهم، ولا يتكلَّفُ حليةً ليستْ له، وليس غرضُه إعلامهم بالمضمون[2].

مفهومُ النَّفي بـ﴿مَآ﴾ في الآية:

في عمومِ نَفيِ سُؤالِ النَّبيِّ الأجرَ دعوةٌ للمشركين بالتَّفكُّرِ بشأنه وبصدقِ دعوته

آثرَ البيانُ القرآنيُّ النَّفيَ بـ﴿مَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ دون غيرها من أدواتِ النَّفي؛ لقوَّةِ النَّفي بها؛ إذ إنَّها آكدُ من (ليس) و(لم) و(لا)، وهي لمطلقِ النَّفي في الماضي والحاضر والمستقبل، وإنْ كان الأصلُ فيها لنفي الحال[3]، والمعنى عُمومُ نَفيِ سُؤالِهِ ﷺ الأجرَ منهم في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ من يوم بُعِثَ إلى وقتِ نُزولِ هذه الآيةِ، بما يدلُّ على مبالغةِ النَّبيِّ ﷺ في نفيِ أيِّ نفعٍ

(1) دروزة، التفسير الحديث: 2/ 359.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 220.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 276.

دنيويٍّ، أو عرضٍ مادّي ينالهُ لقاءَ دعوته، وعلى دعوتهِ للكافرين إلى أنْ يتفكَّروا بشأنه وبصدقِ دعوتهِ، فعملُهُ لمحضِ رضوانِ الله تعالى.

وهذا العموم قياسُ استقراءٍ؛ لأنَّهم إذا استَقْرَوا أحوالَ الرَّسولِ ﷺ فيما مضَى؛ وجَدوا انتفاءَ سُؤالِهِ أجرًا أمرًا عامًّا بالاستقراءِ التّامِّ الحاصِلِ مِن جميعِ أفراد المُشركينَ في جميعِ مُخالطاتِهم إيّاه، فهو أمرٌ مُتواترٌ بينهم[1].

علَّةُ التَّعبيرِ بالسُّؤال في الفعل ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾:

التَّعبيرُ بالسُّؤال في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ دون (الطَّلَب)؛ للإشارةِ إلى مبالغةِ النَّبيِّ ﷺ في نفي حرصِه على طلبِ الأجر على دعوته سواءٌ من مالٍ أو غيره، بما يكونُ أدعى لإيمانهم، وإقامةِ الحجَّة عليهم؛ لأنَّ السُّؤالَ في اللُّغة: اسْتِدْعاءُ معرفةٍ، أو ما يُؤَدّي إلى المعرفة، واستدعاءُ مالٍ، أو ما يُؤَدّي إلى المال[2]، والسُّؤالُ: طَلَبُ أحدٍ مِنْ آخَرَ بَذْلَ شَيْءٍ، أو إخْبارًا بِخَبَرٍ[3]، بينما الطَّلبُ هو الفحصُ عن وجودِ الشَّيء[4].

مبالغةُ النَّبيِّ ﷺ في نفيِ حرصِهِ على طلبِ الأجر على دعوته

دلالةُ المضارعةِ في الفعل ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ عن السُّؤالِ بصيغة المضارعِ ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾؛ للدَّلالةِ علىِ تجدُّدِ مقولةِ النَّبيِّ ﷺ لهم المتضمِّنةِ انتفاءَ سؤالِه أجرًا ومنفعةً لنفسهِ على دعوته، وتكرُّرها، لإشعارهم بعدمِ طَمعهِ في مالهم، دفعًا لهم للنَّظرِ في نزاهةِ ما جاءهم به؛ طمعًا في إيمانهم، وهذا الاستمرارُ والتَّجدُّدُ في انتفاءِ سؤالِ نوحٍ أجرًا ومنفعةً لنفسهِ في أيِّ وقتٍ من الأوقات يدلُّ على عظيمِ عفَّتهِ صلوات ربّي وسلامه عليه.

حِرصُ النَّبيِّ ﷺ على نفيِ طلبه للنَّفعِ الدُّنيويِّ في أيِّ وقتٍ من الأوقات

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 308.
(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (سأل).
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/ 194.
(4) الراغب، المفردات: (طلب).

معنى (على) في ﴿عَلَيۡهِ﴾ ودلالته:

علوُّ قَدْرِ القرآنِ الكريم أو ما يبلِّغهم إيّاه من الوحي

يفيدُ حرفُ الجرِّ (على) في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ معنى الاستعلاء، بما يشيرُ إلى علوِّ قَدْرِ القرآنِ الكريم، أو ما يبلِّغهم إيّاه من الوحي، أو ما يدعوهم إليه، وعلى أنَّ إخلاصَه في ذلك، وتعفُّفَهُ عن أخذِ أيِّ أجرٍ منهم جلَّ أو قلَّ من أعلى ما يُلتفتُ إليه.

مرجعُ ضميرِ الغائب في قوله: ﴿عَلَيۡهِ﴾:

دلالةُ مرجعِ الضَّمير على معانٍ متقاربةٍ متعانقةٍ من إيجازِ القرآنِ البليغ

ضميرُ ﴿عَلَيۡهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ عائدٌ إلى القُرآنِ المَعلومِ مِنَ المَقامِ، فإنَّ مَبدأَ السّورةِ قَولُه: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص: 1]، فهذا مِن رَدِّ العَجُزِ على الصَّدرِ[1]، وهو مِن جِهاتِ الحُسنِ في الكَلامِ، وهو وإنْ لم يتقدَّم له ذكرٌ، إلا أنَّه مفهومٌ من السّياق[2]، والمعنى: "ما أسألكم على ما جئتكمْ به مِنَ القرآن أجرًا"[3]، أو عائدٌ إلى تبليغِ الوحي[4]، والقرآنُ مذكورٌ فيه حُكمًا؛ لأنَّ القُرآنَ من جملة الوحي[5]، أو عائدٌ إلى الدَّعوة إلى اللّهِ تعالى[6]، أي: "ما أسألكمْ على ما أدعوكمْ إليه من طاعةِ اللّهِ أجرًا"[7]، وكلُّها معانٍ متقاربةٌ متعانقةٌ تدلُّ على إيجازِ القرآنِ البليغ.

نكتةُ تقديم ﴿عَلَيۡهِ﴾ على: ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾:

اهتمامٌ بالقرآن الكريمِ وإهمالٌ للأجرِ

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ الجارَّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾ على ما هو في محلِّ المفعول به ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ اهتمامًا بالمُقدَّم، وهو القرآنُ الكريم العالي القَدْرِ العظيمُ الجاه،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 308.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 512.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 112.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 109، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 35.
(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 16/ 460.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 220.
(7) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 112.

وتشريفًا لها؛ إذ الضَّميرُ في الجارِّ والمجرور يعودُ عليه، وفي تأخيرِ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ بيانٌ لإهمالِهِ الأجرَ وعدمِ الاهتمام به.

معنى ﴿مِنْ﴾ في القيد ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾:

مبالغةُ النَّبيِّ ﷺ في نفي أيِّ نفعٍ دنيويٍّ ينالهُ لقاءَ دعوته

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ صلة[1]، لإفادةِ تأكيدِ نفي الأجرِ وعمومه[2]، أي: أغرقَ في النَّفي[3]؛ لأنَّها لو حُذِفتْ؛ لَما اختلَّ نظمُ الكلام، والتَّقدير: (ما أسألكم أجرًا)، إلّا أنَّه أُتي بها لتأكيدِ نفي النَّبيِّ ﷺ سؤالَه لأيِّ أجرٍ لقاءَ دعوته، والمعنى: ما أسألكم أيَّ أجرٍ جلَّ أو قلَّ، وفي هذا قطعٌ لأسبابِ الاتِّهام والنُّفورِ عن الدَّعوة، وتأكيدٌ لتزكيةِ دعوةِ النَّبيِّ ﷺ عن المنافع الزّائلة الَّتي يبتغيها أهلُ الدُّنيا.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿أَجْرٍ﴾:

مبالغةٌ في بيانِ كمالِ تعفُّفِهِ ﷺ عن أيِّ عِوَضٍ

التَّعبيرُ بالأجرِ في قوله تعالى: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ دون غيره من الألفاظ، كالمال والمنفعة والجزاء وغير ذلك؛ لكونِ الأجرِ أوسعَ دلالةً، فالأجرُ هو العوضُ على عملٍ، سواءٌ كان مالًا أو أيَّ منفعةٍ، من قوَّةٍ أو جاهٍ أو ثناءٍ، أي: نفى رسولُ اللّه ﷺ أنْ يسألَ قومَه مقابلَ تبليغِ القرآن والوحي أيَّ مالٍ أو ثوابٍ أو جَزاءٍ أو منفعةٍ بجميعِ أشكالها، وفي هذا دلالةٌ على كمالِ تعفُّفه، بما يكون أدعى للتَّفكُّر بشأنِهِ وبصدقِ دعوته، ولكون لفظِ الأجر أنسبَ مع حالِ النَّبيِّ ﷺ الذي ما دعاهم إلّا إلى ما فيه نفْعُهم وفلاحهم في الدُّنيا والآخرة، وبذلُه كلَّ ما يستطيعُ في سبيلِ ذلك؛ لأنَّ الأجرَ لا يُقالُ إلّا في النَّفعِ دون الضَّرَرِ[4]، بخلافِ الجزاء فإنَّه يُقالُ في النّافعِ والضّارِّ[5]، ولأنَّ

(1) اليمني، البستان: 2/ 337.
(2) ابن عثيمين، تفسير سورة ص: 253.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 432.
(4) الراغب، المفردات: (أجر).
(5) الراغب، المفردات: (أجر).

الأجرَ لا يكونُ إلّا مقابلَ عملٍ[1]، والمالُ يكونُ مقابلَ عملٍ، ويكون بغير عملٍ، كأنْ يأتي مِن إرثٍ أو هبةٍ.

لطيفةُ تنكيرِ ﴿أَجۡرٍ﴾:

﴿أَجۡرٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ نكرةٌ في سياق النَّفي، ولذا أفادَتِ استغراقَ النَّفي لكلِّ ما يُطلقُ عليه أجرٌ دُنيَويٌّ، مِن مالٍ أو منفعةٍ أو غير ذلك، وفيها معنى التَّقليل والتَّهوين والتَّحقير من قيمةِ هذا المطلوب - وهو الأجرُ - عند النَّبيِّ ﷺ، أي: (ما أسألكم أيَّ أجرٍ دُنيويٍّ جلَّ أو قلَّ)[2]، وفي مبالغته في نفي عدمِ أخذه لأيِّ أجرٍ مهما كان تأكيدٌ على كمالِ إخلاصِهِ للّهِ في دعوته، وترفيعًا لشأنه، وهذه سنَّةٌ لازمةٌ للرُّسلِ عليهم السلام، فالرُّسلُ ما بُعثوا أُجراءَ لأحدٍ، وليس منهم أيُّ التفاتٍ إلى تفاهاتِ الدُّنيا، ولأنَّه أرادَ الأجرَ الأعلى الباقي ممَّن له قدرةُ عطاءٍ لا نهايةَ لها، كما قال تعالى: ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [يونس: 72].

من تعلَّقتْ همَّتُهُ بالأجرِ العظيم الباقي؛ زهدَ بالأجرِ الدُّنيويِّ الفاني

موقعُ جملةِ: ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾:

جملةُ: ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ في محلِّ نصب مقولِ القول: ﴿قُلۡ﴾[3]، فهو أمرٌ وتلقينٌ مِن الله بأنْ يقولَ لهم ذلك، وهذا يدلُّ على أنَّه ﷺ ما ينطقُ عن الهوى إنْ هو إلّا وحيٌ يوحى، فيتضمَّنُ تبليغُ النَّبيِّ ﷺ قومَه - بنفْيِ سؤاله إيّاهم الأجرَ بأمرٍ مِنَ الله - الاستدلالَ على صِدق دعوته وعلى نبوَّته.

تبليغُ النَّبيِّ قومَهُ انتفاءَ طلبه للأجرِ بأمرٍ من الله دليلٌ على صدقِ نبوَّته

معنى (الواو) في: ﴿وَمَآ أَنَا۠﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ عاطفةٌ، والجملةُ في محلِّ نصب، معطوفةٌ على جملة مقولِ القول ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾[4]،

في العطفِ والحاليَّة بيانٌ لحالِ النَّبيِّ ﷺ في دعوته

(1) ابن منظور، لسان العرب: (أجر).
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 220.
(3) صافي، الجدول: 12/ 147.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم: 8/ 193.

بجامعِ أنَّ كليهما نفيٌ يتعلَّقُ بحالِ الدّاعي، وهو النَّبيُّ صلى الله وسلم، مِن أنَّه لا يطلبُ أجرًا دُنيويًّا على القُرآنِ أو تبليغِ ما يوحى إليه، وأنَّه ليس من المتصنِّعين ممّا ليسوا من أهلِه، فهو غيرُ منتحلٍ للنُّبوَّة، وغيرُ متقوِّلٍ على الله؛ لأنَّ المُتكلِّفَ شَيئًا إنَّما يَطلُبُ مِن تَكلُّفِهِ نَفعًا، فالمَعنى: (وما أنا مِمَّن يَدَّعونَ ما ليسَ لهم)[1]، أو أنَّ الجملةَ الأولى تتحدَّثُ عن حالِ الدّاعي، والثانيةَ عن كيفيَّة الدَّعوة، وأنَّها ليستْ ممّا يحتاجُ في معرفةِ صحَّته إلى التَّكلُّفاتِ الكثيرة، بل هي دينٌ يشهدُ صريحُ العقلِ بصحَّته[2].

أو أنْ تكونَ الواو حاليَّةً[3]، والجملةُ حالًا مِنَ الفاعلِ المستتر للفعل ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾[4]، والمعنى: (ما أسألكم على تبليغِ القرآنِ والوحي أجرًا دنيويًّا، والحالُ أنّي لستُ مِنَ المنتحلين للنُّبوَّة والمتقوِّلين للقرآن).

معنى ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ حرفُ جرٍّ، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بمحذوفِ خبر (ما) الحجازيَّة، أو بمحذوف خبر المبتدأ ﴿أَنَا۠﴾[5]، و﴿مِنَ﴾ هنا تبعيضيَّة، والمعنى: وما أنا من زمرةِ المتكلِّفين.

نفيُ النَّبيِّ ﷺ أنْ يكونَ من زمرةِ المتكلِّفين

معنى (ال) في ﴿ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾:

لامُ التَّعريف في قوله: ﴿ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ جنسيَّةٌ استغراقيَّةٌ تفيدُ العموم، لتشملَ كلَّ ما ينطبقُ عليه اسمُ المُتكلِّف، أي: كلَّ أفرادِ هذه الفئةِ التي تُعرفُ عند النّاس بفئةِ المتكلِّفين، ومن ثَمَّ أفادتِ الآيةُ انتفاءَ جميع التَّكلُّف عن النَّبيِّ ﷺ[6]، والمعنى: (وما أنا مِن الذين

في الجنسيَّةِ مبالغةٌ في نفي كلِّ تكلُّفٍ عن النَّبيِّ ﷺ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 308 - 309.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/ 416.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 386.
(4) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 8/ 193، والهرري، حدائق الروح والريحان: 24/ 463.
(5) صافي، الجدول: 12/ 147.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 308.

يَتصنَّعون، ويتَحلَّوْن بما ليسوا مِن أهلِه من قولٍ ولا فعلٍ، الذين يكلِّفون أنفسهم تزويرَ الكلامِ والتَّصنُّع فيه، وترتيبَه على طريقٍ من الطُّرقِ بنظمٍ أو نثرِ سجعٍ أو خطبٍ أو غير ذلك، أو وضعَ أنفسهم في غير مواضعها[1]، حتَّى أنتحِلَ النُّبوَّةَ، وأتقوَّلَ القُرآنَ)[2]، ولعمومِ اللَّفظ اختُلفَ في معناه على أقوالٍ، وكلُّها صحيحةٌ، وهي: وما أنا مِن المتكلِّفين لهذا القرآن مِن تلقاءِ نفسي، أو مِن المتكلِّفين لأنّ آمركم بما لم أُؤمرْ به، أو بالذي أكلِّفكم الأجر[3]، أو لستُ ممَّنْ يتعسَّفُ في طلبِ الأمرِ الَّذي لا يقتضيه العقلُ، أو لستُ ممَّن يتكلَّفُ لدعوته ما يخرج به عن حدودِ التَّبليغ، فلا أقهرُ أحدًا، أو أخدعه[4]، أو لستُ ممَّن يتكلَّفُ إظهارَ خلافِ الإضمار، بل أنا على ما عرفتُموني به مِن الصِّدقِ والأمانةِ ومحاسنِ الأخلاق، ولو كان تكلُّفًا منّي؛ لظهرَ على تطاولِ الزَّمان خلافُه، وذلك دليلُ صِدقي في دعوى رسالتي[5].

دلالةُ التَّعبير بالتَّكلُّف في ﴿ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾:

التَّكلُّفُ: مُعالَجةُ الكُلْفةِ، وهي ما يَشُقُّ على المَرءِ عَمَلُهُ والتزامُه، لِكَونِه يُحرِجُه، أو يَشُقُّ عليه، ومادَّةُ التَّفعُّلِ فيه تَدُلُّ على مُعالَجةِ ما ليس بسَهلٍ[6]، قال الرّاغب: "وتكلُّف الشَّيء ما يَفعلُهُ الإنسانُ بإظهارِ كَلَفٍ مع مشَقَّةٍ تنالُهُ في تَعاطيه"[7]، فالمُتَكلِّفُ هو الَّذي يَتطَلَّبُ ما ليس له، أو يَدَّعي عِلْمَ ما لا يَعلَمُه، ومِن ثَمَّ يكون التَّعبيرُ بالتَّكلُّف في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ أبلغَ مِنَ التَّعبيرِ مِنَ التَّصنُّع الذي هو مجرَّدُ التَّظاهر بالشَّيء، وهو ليس فيه[8]؛ لأنَّ التَّصنُّعَ لا

عصمةُ رسولِ اللهِ ﷺ عن أنْ يأتيَ بما ليسَ هو لهُ أهلٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 433.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 239.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 112.
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 1112.
(5) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 528.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 308 - 309.
(7) الراغب، المفردات: (كلف).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (كلف).

يُشترطُ أنْ يكونَ فيه مشقَّةٌ، ومعلومٌ أنَّ ما نفى النَّبيُّ ﷺ التكلُّفَ فيه مِن انتحالِ النُّبوَّةِ أو التَّقوُّلِ على اللهِ بالقرآن، أو إظهارِ خلاف ما يبطنه، تلازمه المشقَّة، كما أنَّ التَّعبيرَ بالتَّكلُّف مناسبٌ لحالِ النَّبيِّ ﷺ الذي لم يكنْ يشقُّ عليه تبليغُ القرآن أو الوحي أو الدَّعوة إلى اللهِ؛ لكونه مُرسَلًا مِن عند اللهِ مُؤيَّدًا بوحيه، ولم تكنْ كذلك أفعاله وأقواله تصدرُ عنه بكُلْفَةٍ ومشقَّةٍ، وإنَّما هي على ما عرفه به المشركون مِنَ الصِّدق والأمانة ومحاسنِ الأخلاق، ولو كان تكلُّفًا منه؛ لظهرَ على تطاولِ الزَّمان خلافُه.

نكتةُ إيثارِ التَّعبير بقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾:

نفيُ كونه مِن زمرةِ المتكلِّفين أبلغُ في نفيِ التَّكلُّفِ عنه

أُتي بالخبر بالجارِّ والمجرورِ، فقيل: ﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، ولم يقلْ: (وما أنا متكلِّف)؛ لأنَّ المقصودَ نفيُ الجملة الَّتي خبرها ﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، فإنَّ التَّعريفَ في ﴿ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ تعريفُ الجنس، فإخبارُ النَّبيِّ ﷺ عن نفسهِ بأنَّه ليس من المتكلِّفين يفيدُ أنَّه ليس من أفرادِ هذه الفئةِ أصلًا، ولا من أهلها الَّتي تُعرفُ عند النَّاسِ بفئةِ المتكلِّفين، والتي ديدنها التَّكلُّف، وهذه الصِّيغة (مِنَ المتكلِّفين) من قبيل الكناية التي هي إثباتُ الشَّيء بإثباتِ ملزومه، فهي أبلغُ من التَّصريح؛ لأنَّها تشهدُ بأنَّه غيرُ معدودٍ في زمرةِ المتكلِّفين.

فائدةُ الجملةِ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾:

دينٌ يَذُمُّ التَّكلُّفَ، ولا يحتاجُ في معرفةِ صحَّته إلى التَّكلُّف

أفادتِ الجملةُ الخبريَّة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أنَّ ما جاءَ به مِنَ الدِّينِ لا تكلُّفَ فيه، أي: لا مَشَقَّةَ في تكاليفِه، وهو معنى سَماحةِ الإسلام، ولا يحتاجُ في معرفةِ صحَّتِه إلى التَّكليفات الكثيرة، بل هو دينٌ يشهدُ صريحُ العقلِ بصحَّته[1]، وهذا استرواحٌ مبنيٌّ على أنَّ من حكمةِ اللهِ أنْ يجعلَ بين طبعِ الرَّسول ﷺ وبين روحِ شريعته تناسبًا؛

(1) ابن عادل، اللباب: 16/ 463.

ليكون إقبالهُ على تنفيذِ شرعهِ بشراشرِهِ؛ لأنَّ ذلك أنفى للحرجِ عنه في القيامِ بتنفيذ ما أمر بهِ[1].

كما أنَّ في الأمرِ الرَّبّانيِّ للنَّبيِّ ﷺ بالإعلانِ بأنَّه ليس من المتكلِّفين تلقينًا تأديبيًّا رفيعًا للمسلمين بألّا يتَّصفوا بما ليس لهم علمٌ، وبألّا يكونوا فضوليّين فيما ليسَ فيه مصلحةٌ وفائدة[2]، وقد ورد في ذمِّ التَّكلُّف ما جاء عن عبد اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: (يا أيُّها النّاس: مَن علمَ شيئًا؛ فليقلْ به، ومَن لم يعلمْ؛ فليقلِ: اللهُ أعلم، فإنَّ مِن العلمِ أنْ يقولَ الرَّجلُ لِما لا يعلم: اللهُ أعلم، فإنَّ اللهَ ﷻ قال لنبيِّكم ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾)[3].

علَّةُ فصلِ الآية عمّا قبلها:

نَفْيُ التَّقوُّلِ على القرآنِ مشتملٌ على ثُبوتِ ربّانيّته

فصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ عن الَّتي قبلها، ولم يأتِ بالعاطف؛ لِما بين الجملتين من كمالِ اتِّصال، أي: اتِّحادٍ تامٍّ في المعنى؛ لأنَّ هذه الآية بدلُ اشتمالٍ مِن جُملة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ اشتمالِ نَفْيِ الشَّيءِ على ثُبوتِ ضِدِّه، فلمّا نَفَى بقولِه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أنْ يَكونَ تَقَوَّلَ القُرآنَ على اللهِ؛ ثَبَتَ مِن ذلك أنَّ القُرآنَ ذِكرٌ للعالمين ذَكَّرَهمُ اللهُ به، أيْ: ليس هو بالأساطيرِ أو التُّرَّهاتِ، ولكَ أنْ تَجعَلَها تَذييلًا؛ إذْ لا مُنافاةَ بَينَهما هنا، وعُمومُ (العالَمينَ) يُكسِبُ الجُملةَ مَعنى التَّذييلِ لِلجُملَتَيْنِ قَبلَها[4].

بلاغةُ القصرِ في جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾:

قصرٌ أثبتَ أنَّ القرآنَ ذِكرٌ لا أساطيرَ، ولا سِحرَ، ولا شِعر

﴿إِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ حرفُ نفي، وهو أقوى نفيًا من (ما)، و(إلّا) استثناءٌ، والأسلوبُ هو قصرٌ بالنَّفي والاستثناء، وهو قَصر قَلبٍ إضافيٍّ قُلِبَ به حُكْمُ السّامع، أيْ: هو ذِكرٌ، لا أساطيرَ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 309.
(2) دروزة، التفسير الحديث: 2/ 359.
(3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، رقم: (4531).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 309.

ولا سِحرَ، ولا شِعرَ، ولا غَير ذلك؛ لِلرَّدِّ على المُشركينَ ما وسَموا به القُرآنَ مِن غَيرِ صِفاتِه الحَقيقيَّةِ[1]، وهي بذلك أثبَتتْ - مِن كَونِ القُرآنِ ذِكرًا - ما أثبتَتْهُ أوَّلُ آيةٍ في السّورةِ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص: 1] على أتَمِّ وجهٍ، مع زيادةِ الوَعيدِ في قوله: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينٖ﴾[2].

مرجعُ ضميرِ الغيبةِ ﴿هُوَ﴾:

تفخيمٌ وتعظيمٌ لشأنِ القرآنِ واهتمامٌ بكونه ذِكرًا للعالمين

الضَّميرُ ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ مبتدأ و﴿ذِكۡرٞ﴾ خبره[3]، ويرجعُ إلى القرآنِ الكريم، أي: ما القرآنُ إلّا ذكرٌ للعالمين[4]؛ لأنَّه أنسبُ لظاهرِ الكلام، ولدلالةِ السّياقِ على القرآن، فإنَّ القرآنَ هو ما أُمِرَ رسولُ اللّه بتبليغِه، ولم يطلبْ على ذلك أجرًا دنيويًّا، ولكونه معلومًا من المقام، فإنَّ مبدأ السّورة قولُهُ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص: 1]، ويناسبُ فاتحةَ سورةِ الزُّمر الَّتي ابتدأتْ بقولِه تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

وقد أتى بالضَّمير ﴿هُوَ﴾ دون الاسمِ الصَّريح (القرآن)، فلم يقلْ: (إنِ القرآنُ إلّا ذكرٌ)؛ تفخيمًا لشأنه، لكون الضَّمائرِ أقوى المعارف[5]، ولكون ﴿هُوَ﴾ ضميرَ الشَّأن الَّذي يفيدُ الاهتمامَ بالجملة الَّتي بعده، وإذا سمعهُ المخاطَبُ؛ تطلَّع إلى ما بعده.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿ذِكۡرٞ﴾، ولطيفةُ تنكيره:

القرآنُ عظةٌ وشرفٌ وتفكُّرٌ وتذكيرٌ بالعهدِ الأوَّلِ في عالَمِ الذَّرِّ

التَّعبيرُ بلفظ ﴿ذِكۡرٞ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لكونِه أوسعَ دلالةً من غيره، كالتَّذكرة وهي الموعظةُ، فالذِّكرُ هنا يشملُ الموعظة[6]، والشَّرفَ لهم[7]، وهو مكانهُ العقول، وما يقعُ فيها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 310.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 435.
(3) دعاس، إعراب القرآن: 3/ 130.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 243، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 83.
(5) ابن الحاجب، الكافية في علم النحو، ص: 37.
(6) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 103.
(7) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 16/ 461، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 434.

من تفكُّرٍ واقتناعٍ بما تذكَّر به[1]، وهو ضدُّ النِّسيان، يوقظُ النّاسَ من غفلتهم، ويجعلُهم يتعمَّقون في التَّفكير، ويُذكِّرهم بما نسوه من العهدِ الأوَّل عهدِ الفطرةِ الذي أخذه اللّهُ عليهم، وهم في طوْرِ الذَّرِّ، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]، فأقرَّ الجميعُ: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172][2]، ولكونِهِ أنسبَ لسياقِ الدَّعوة والتَّبليغ والشَّرفِ ورفعةِ القرآن، بخلاف لفظ (ذكرى)؛ فإنَّها تُستعملُ في سياقِ النِّسيانِ والتَّذكير العادي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: 90]، وأنسبَ لفاتحةِ السّورة في قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: 1]، ولكثرةِ ما وردَ فيها من التَّذكير، كقولِه: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: 17]، و﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [ص: 43]، و﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ [ص: 49]، ممّا يدلُّ على أنَّ القرآنَ كأنَّه عقدٌ واحدٌ نُظِمَتْ آياتُه وسورُهُ على أكملِ وجهٍ في الاتِّصال المحكم الوثيق، فيدلُّ على عظمةِ الخالقِ وقدرته وعلمه، وأنَّه المعجزةُ الخالدةُ إلى يومِ القيامة.

وقد جاء لفظُ ﴿ذِكْرٌ﴾ نكرةً لإفادةِ التَّفخيم والتَّعظيم، فهو ذِكْرٌ جليلُ الشَّأنِ من الله تعالى[3].

القرآنُ ذِكرٌ لكلِّ العالمين مِن الإنسِ والجنِّ

معنى (اللام) في القيد: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

اللّامُ في قوله: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ حرفُ جرٍّ، وهي لامُ الاختصاص، لقصدِ تشريفِ الثَّقلين مِن الإنس والجنِّ بهذا الاختصاص؛ امتنانًا مِنَ اللّهِ عليهم، وإقامةً للحجَّة.

معنى (ال) في ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

(ال) التَّعريفُ في لفظ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ جنسيَّةٌ استغراقيَّةٌ دخلتْ على جمعٍ، فأدَّتْ إلى شمولِ عموم العالمين، أي: القرآنُ عظةٌ وشرفٌ

(1) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 4/ 101، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 1112.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 21/ 13008.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 220.

لكلِّ العالَمينَ من الإنسِ والجنِّ[1] إلى أنْ تقومَ السّاعة، يتذكَّرون به كلَّ ما ينفعهم، من مصالحِ دينهم ودنياهم، فيكون شرفًا ورفعةً للعاملين به، وإقامةَ حجَّةٍ على المعاندين[2]، يفهمُ كلُّ فردٍ من الثَّقلين ما تحتمله قواه ذكيًّا كان أو غبيًّا، على ما هو عليه من العلوِّ الذي لا يدانيه فيه كلامٌ، بخلافِ الشِّعرِ والكهانةِ التي محطُّها السَّجعُ والكذبُ في الاختبارِ ببعض المغيَّبات، فإنَّهما مع سفولِ رتبتهما لا يفهمهما مِنَ العالمين إلّا ذاكَ وذاك[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ وسرُّ إيثارِهِ على (الناس):

آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ العالمين في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ دون لفظِ النّاس، لكون (العالَمينَ) أعمَّ، فهو يشملُ الثقلين؛ إذ هما المكلَّفان بالأوامرِ والنَّواهي، ولو عبَّر بلفظِ النّاس؛ لاقتصرَ على الإنسِ دون الجنِّ، إلّا أنَّه لم يُرِدِ الملائكة، وإنْ كان لفظُ العالمين يشملهم لأجلِ قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾، والذِّكرُ معناه الموعظةُ والتَّخويف، وهو لا يُناسبُ إلّا الإنسَ والجنَّ[4]، كما أنَّ المَلائكَةَ ليسوا مأمورين بالعمل بالقُرآن، وما عداهم من العجماوات والجمادات ليسوا بمكلَّفين[5]، ولأنَّ في لفظِ (العالمين) معنى الوصفيَّة الدّالَّةِ على العِلم، وتغليبٌ للعقلاء على غيرهم[6]؛ تأكيدًا على قيامِ هذا الذِّكرِ على العلمِ وعدمِ مناقضته له، وتعريضًا بالكافرين الَّذين عطَّلوا عقولَهم.

ذِكْرٌ يشملُ الثَّقلين ولا تنفكُّ عنه صفةُ العلمِ

بلاغةُ التَّذييلِ بجملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

بعد تسجيلِ التَّبليغ على المشركين، وأنَّ النَّبيَّ صلّى اللّه عليهم وسلَّم لا يسألُ على تبليغِ الرِّسالة أجرًا في قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ

ما أرادَ النَّبيُّ صلى الله وسلم بتبليغِهم إلّا رِفْعَتَهم في العالمين

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 239.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 717.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 434.
(4) الصاوي، حاشية على تفسير الجلالين، ص: 1630.
(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 16/ 461.
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/ 28.

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، وما هو دَعيٌّ كذّابٌ - حاشاه - يتكلَّفُ القولَ بالقرآن، ويدَّعيه في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، بل هو رسولٌ حقًّا؛ ختمَ البيانُ الحكيمُ الكلامَ السّابقَ ببيانِ أنَّ القرآنَ ذِكرٌ للنّاس ذكَّرهم اللّهُ به، أي: ليس هو بالأساطيرِ أو التُّرَّهات، أي: لمّا نفى أنْ يكونَ ﷺ قد تقوَّل القرآنَ على الله؛ ثبتَ من ذلك أنَّ القرآنَ ذِكرٌ للنّاس ذكَّرهم اللّهُ به[1]، وأنَّ فائدةَ ما أبلغهم رسولُ اللّهِ ﷺ لهم لا له، وذلك في قولِه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، وفي هذا تنبيهٌ للمشركين وحثٌّ لهم أنْ يُعملوا عقولَهُم، ولا يحجبهم الكِبرُ عن التَّفكُّر في شأنِ القرآنِ والنَّبيِّ ﷺ، فهو ما أرادَ بتبليغهم إلّا رِفعتهم.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ عاطفةٌ[3]، والمعطوفُ عليه جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، باعتبارِ كون الجملتَين تتحدَّثان عن القرآنِ الكريم، إحداهُما بأسلوبِ القصرِ، والأخرى بأسلوبِ التَّوكيد، والمعنى: القرآنُ ذِكرٌ لا أساطيرُ ولا سحرٌ ولا شِعرٌ ولا غير ذلك، وستَعلَمونَ خَبَرَهُ بَعدَ زَمانٍ عِلْمًا جَزمًا[4]، وفي هذا الجمعِ بين الأسلوبين المؤكِّدين على ظهورِ شرفِ القرآن وعلوِّهِ في العالَمينَ تبشيرٌ للمؤمنين وتهديدٌ ووعيدٌ للكافرين.

في التَّأكيدِ على ظهورِ شرفِ القرآن وعلوِّهِ في العالَمينَ تبشيرٌ وتهديدٌ

معنى (اللام) في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾:

اللّامُ في ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ موطِّئةٌ للقسم[5]، وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ جوابُ قَسمٍ مقدَّرٍ معناه: (واللّهِ لَتَعْرِفُنَّ أنتم يا كفّار مكّة خبرَ صِدقِهِ بَعْدَ حينٍ)[6]، وغرضُ لامِ القسم تأكيدُ الجواب، أي: تأكيدُ تحقُّقِ العلم

تأكيدُ تحقُّقِ العلمِ اليقينيِّ بحقّيَّةِ القرآنِ تهديدٌ للكافرين وتبشيرٌ للمؤمنين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 309.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 310.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 386.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 310.
(5) السيوطي والمحلي، تفسير الجلالين، ص: 605، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 386.
(6) ابن عادل، اللباب: 16/ 463.

اليقينيِّ لدى كفّارِ قريش بحقّيَّةِ القرآن، وما تضمَّنَ من وعدٍ ووعيدٍ وصدقِ النَّبيِّ ﷺ بعد حينٍ من الزَّمن، وفي هذا تخويفٌ وتهديدٌ للكافرين، وتبشيرٌ وتطمينٌ للمؤمنين(1).

دلالةُ التَّعبيرِ بالعِلم في الفعل (تَعْلَمُنَّ):

إخبارٌ يستدعي التَّفكُّر في شأن القرآن

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بلفظِ العِلْم في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ دون لفظِ المعرفة، فلم يقلْ: (لتعرفنَّ)؛ لكون العلمِ أعلى درجةً مِنَ المعرفة، واستعماله أنسبُ للسّياقِ؛ لأنَّ عِلْمَهم سيكون في المستقبل عند الموتِ أو يوم القيامة، وهو علمٌ يقينيٌّ لا إنكارَ فيه، وأصلُ العلمِ إدراكُ الشَّيء على حقيقته، وهو معرفةُ الشَّيء على ما هو عليه(2)، وعَلِمَ الشَّيء حاصلًا: أيقنَ به، وصدَّقه(3)، والمعرفةُ تُستعملُ في العلمِ القاصر المتوصَّل إليه بتفكُّرٍ وتدبُّرٍ(4)، والمعرفةُ ضدُّها الإنكار، والعلمُ لا يضادُّهُ الإنكار، بل يضادُّه الجهل(5)، وفي الإخبارِ المؤكَّدِ بالقسمِ بيقينيَّة العلمِ بحقّيَّة القرآنِ والنَّبيِّ والإسلام بعد حين يستدعي تخويفَ الكافرين ودفعهم للتَّفكُّر في شأنِ هذا النَّبأ وصِدقِه.

ولكونِه كذلك أنسبُ لحالِ القائلِ؛ إذ هو إخبارُ وحيٍ لا شكَّ فيه، والمعنى: (وستَعلَمونَ بانتصارِ الإسلام وظهوره، أو اليقين بصدقِ القرآن، أو بنبوَّة النَّبيِّ ﷺ بَعدَ زَمانٍ عِلْمًا يقينًا جَزمًا، فيَزولُ شَكُّكم فيه)(6).

دلالةُ المضارعةِ في الفعل (تَعلَمُنَّ):

عِلمُ الكافرين بحقّيَّةِ الإسلام علمٌ مستمرٌّ في الدُّنيا والآخرة

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بصيغةِ المضارعة في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾، للإشارةِ إلى أنَّ العِلمَ الجازمَ الذي يدركون به حقيقةَ

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 16/ 462.
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (علم).
(3) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (علم).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 502.
(5) الراغب، المفردات: (عرف).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 310.

القرآنِ وصدقَ النَّبيِّ ﷺ، وكلَّ ما أنكروه في الدُّنيا - سواءٌ بعد الموت والبعث يومَ يُكشفُ لهم الغطاءُ عمّا حجبهُ العنادُ والضَّلال عنهم، أو في الدُّنيا بانتصارِ المسلمين عليهم وارتفاعِ شأن الإسلام - هو علمٌ مستمرٌّ لا ينقطع[1]، وهذا يشهدُ له الواقعُ في استمرارِ انتشارِ الإسلام رغمَ كثرةِ المحاربين له، كما أنَّ في المضارعةِ تصويرًا لهذا الحدثِ بما يستدعي تخويفهم عند إدراكِ الحقيقة، من مشاهدِ الخيبةِ التي يجدونها فيه يوم لا ينفعهم النَّدم.

معنى (النون) المتَّصلة بالفعل ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾:

في التَّوكيدِ مبالغةٌ في تخويفِ الكافرين دفعًا لهم للتَّفكُّر بشأنِ القرآن العظيم

تدلُّ نونُ التَّوكيد الثَّقيلة الملازمةِ للقَسم في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ على تأكيدِ وعيده وتهديده للكافرين بإثباتِ حقّيَّةِ القرآن وصدقِ النَّبيِّ ﷺ؛ إذ إنَّها بمنزلةِ القسم، وبمنزلةِ تكرارِ الفعل، وهي تفيدُ كذلك مع التَّوكيدِ الشُّمولَ والعمومَ عندما يكونُ الكلامُ لغير الواحد، وأنَّ هذا العلمَ اليقينيَّ الجازمَ يكون من الكافرين كلِّهم، وتأكيدُ الفعلِ هنا واجبٌ؛ لأنَّه مضارعٌ، جاء في جوابِ القسَم، وجاء مُثبتًا غيرَ منفيٍّ، ومستقبلًا لزمنٍ آتٍ، وغيرَ مفصولٍ عن لامهِ بفاصلٍ[2]، وفي التَّوكيدِ مبالغةٌ في تخويفِ الكافرين وتهديدهم؛ دفعًا لهم للتَّفكُّر بشأنِ القرآنِ العظيم والنَّبيِّ الكريم ﷺ.

دلالةُ التَّعبير بالنَّبأ في ﴿نَبَأَهُۥ﴾:

شأنُ القرآنِ وكلِّ ما تضمَّنه شأنٌ عظيمٌ لا يُقادرُ قدره

اصطفى البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالنَّبأ في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾؛ إذ كلمةُ النَّبأ لا تُقال إلّا للخبرِ العظيم المهمِّ، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: 67 - 68][3]؛ للدَّلالة على أنَّ خبرَ القرآنِ بأنَّه كلامُ اللهِ، أو خبرُ النَّبيِّ ﷺ بأنَّه

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 1112.
(2) ابن مالك، شرح التسهيل: 3/ 209، وابن هشام، مغني اللبيب، ص: 444.
(3) الراغب، المفردات: (نبأ)، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 21/ 13009.

رسولُ اللّه، أو خبرُ الوعيد الَّذي توعَّدَ اللّهُ المشركين به بأنَّه صدقٌ هو خبرٌ ذو قدرٍ وشأنٍ عظيم، ولكون هذه الكلمة الَّتي لا تُقال إلّا في الأمر العظيم تتناسبُ مع الإيقاعِ المدوّي العميق، الموحي بضخامةِ ما سيكون من العلمِ اليقينيِّ بحقّيَّة النَّبأ العظيمِ عند الموت أو يوم القيامة أو عند انتصارِ الإسلام، وذلك في سياقٍ توالَتْ، وتتابعَتْ فيه المؤكِّدات.

مرجعُ الضَّمير في ﴿نَبَأَهُۥ﴾:

في تعدُّدِ مرجعِ الضَّميرِ ثراءٌ في المعنى

يعودُ الضَّميرُ المتَّصلُ، وهو هاء ﴿نَبَأَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ إمّا إلى القرآنِ الكريم، والمعنى: (ولتعلمنَّ نبأ القرآنِ أنَّه حقٌّ)، أو إلى النَّبيِّ ﷺ، والمعنى: (ولتعلمنَّ نبأ محمَّدٍ ﷺ أنَّه رسولٌ)، أو إلى الوعيدِ، والمعنى: (ولتعلمنَّ نبأ الوعيدِ أنَّه صدقٌ)[1]، وفي التَّعبيرِ بالضَّمير وعدمِ التَّصريح بما يعودُ إليه إشارةٌ إلى تعدُّدِ المعاني الَّتي تتضمَّنها الآيةَ ممّا يجعلُ لها ثراءً، ولو ذكرَ أحدها؛ لاقتصرَ عليه.

دلالةُ التَّقييد بالبعديَّة في قولهِ: ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾:

تراخي المدَّة والإمهال إبلاغٌ في الإعذارِ بما يقطعُ الحجَّةَ، ويُبطلُ الأعذار

يشيرُ النَّظمُ الحكيمُ في التَّعبير بالبعديَّة ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ إلى الإيحاءِ بتراخي المدَّة والإمهال؛ ليُبلِغَ في الإعذارِ إليهم، فتَنقَطِعَ حُجَجُهم، وتَتناهى ذُنوبُهم الَّتي يَستَحِقّونَ الأخذَ بها[2]، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ آياتِ النَّبيِّ ﷺ تأتي مُتتابِعةً، منها ما عُلِمَ في عَهدِهِ، ومنها ما عُلِمَ بعدَ ذلك، ومنها ما لا يُعلَمُ إلّا يومَ القيامة[3].

دلالةُ التَّعبير بـ﴿حِينٍ﴾، ولطيفة تنكيره:

إبهامُ الوقتِ أبلغُ في التَّخويفِ وأحثُّ على المبادرةِ إلى الامتثالِ

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿حِينٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ

(1) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 112.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 435.
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة ص: 258.

﴿نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينٖ﴾؛ لكونه أوسعَ دلالةً؛ لأنَّ الحينَ: هو الزَّمان، قليلًا كان أو كثيرًا[1]، وهو اسمٌ كالوقتِ يصلحُ لجميعِ الأزمان كلِّها، طالتْ أمْ قصرتْ[2]، وهو في الآية زمنٌ لم يُنَصَّ لَهُمْ على أمَدِهِ[3]، وذلك إمّا عند نزولِ العذاب عليهم، أو حُلولِ الموتِ بهم، أو نحو ذلك[4]، ولذلك اختلفَ في معناه أقوالُ المفسِّرين، وكلُّها يتضمَّنُها اللَّفظ، فقيل: لتعلمنَّ نبأهُ بعد الموت، قال الحسن: (يا بن آدمَ عند الموتِ يأتيك الخبرُ اليقين)، وقيل: يوم القيامة، عندها سيعلمون صِدْقَ هذا الكلام الَّذي أخبرهم اللَّهُ به في قرآنِهِ، وقيل: يوم بدر[5]، وعيدٌ لهم بالقتلِ ببدر، مثل قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤﴾ [الصافات: 174]، يعني: القتلَ ببدر[6]، ويرى الشَّعراوي أنَّ: الحين يُراد به ظهورُ الإسلامِ وفشوُّه وانتصاره على الكفر، بدايةً من معركةِ بدر إلى أنْ قال القائل: عجبتُ لهذا الأُمّيِّ، كيف يفتحُ نصفَ الدُّنيا في نصفِ قرن؟ نعم هذه عجيبةٌ، ولا تزالُ حتّى الآن[7]، ويرجِّحُ الطَّبريُّ أنَّ اللَّهَ أعلمَ المشركين المكذِّبين بهذا القرآن أنَّهم يعلمون نبأه بعد حينٍ، من غيرِ حدٍّ منه لذلك الحين، وقد علمَ نبأه الَّذين عاشوا إلى ظهورِ حقيقتِه، ووضوحِ صحَّتِهِ في الدُّنيا، ومنهم من عَلِمَ حقيقةَ ذلك بهلاكِهِ ببدر، وقبل ذلك، ولا حدَّ عند العرب للحين، لا يُجاوَز، ولا يقصرُ عنه، فإذا كان ذلك كذلك؛ فلا قولَ فيه أصحُّ مِن أن يُطْلَقَ، كما أطلقهُ اللَّهُ من غيرِ حصرِ ذلك على وقتٍ دون وقتٍ[8].

كما أنَّ في التَّعبير بلفظ ﴿حِينٖ﴾ إشارةً إلى أنَّ وقتَ وقوعِ ذلك النَّبأ هو وقتٌ مبهمٌ[9]، وإبهامُ الوقتِ هنا أبلغُ في التَّخويف والتَّهديد لِما فيه من حثِّ المخاطَب للمبادرةِ إلى الامتثالِ لربِّهِ، والإقلاعِ عن عصيانه.

وفي تنكيرِ لفظ ﴿حِينٖ﴾ زيادةٌ في إبهامِ هذا اللَّفظ، ومِن ثَمَّ زيادةٌ في التَّخويفِ مِن

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حين).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (حان).
(3) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 256.
(4) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 35، والسعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 717.
(5) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 112.
(6) تفسير مقاتل بن سليمان: 3/ 654.
(7) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 21/ 13008.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 244.
(9) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 435.

هذا الوقتِ، بما يكون أدعى للمشركين لأنْ يتفكَّروا بشأنِ النَّبيِّ ﷺ وبصدق دعوتِهِ.

بلاغةُ التَّعريضِ بالتَّهديد في الآية:

تعريضٌ بما لا مَزيدَ عليه في التَّخويفِ والتَّرهيبِ والتَّهديدِ

في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ تعريضٌ بما لا مَزيدَ عليه في التَّخويفِ والتَّرهيبِ والتَّهديدِ لِمَن أصرَّ على الجهلِ والتَّقليدِ، وأبَى قَبولَ البيِّناتِ، وأنَّه سيعلَمُ بعدَ حينٍ إنْ كان مُصيبًا في هذا الإعراض، أو مُخطئًا[1].

بلاغةُ حسنِ الختام في الآية:

حُسنُ اتِّصال الآيات وانتظامها

تظهرُ بلاغةُ حُسن ختامِ سورة (ص) في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ في أنَّ هذه الآيةَ قد أثبتَتْ مِن كونِ القرآن ذِكرًا ظهرَ صِدقُهُ ما أثبتته أوَّل آيةٍ فيها، وهي ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: 1] على أتمِّ وجهٍ مع زيادةِ الوعيد، فانعطفَ الآخرُ على الأوَّل، واتَّصل به أحسنَ اتِّصالٍ وأجمل، ونظرَ إلى أوَّل الزُّمر في قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أعظمَ نظر وأكمله، فلله درُّ هذا الانتظام، فهو لَعمري أضوأُ من شمسِ الضُّحى، وأتمُّ من بدرِ التَّمام، فسبحان من أنزلَهُ، وأجمله، وفصَّله، وفضَّله، وشرَّفه، وكرَّمه[2].

توالي المؤكِّدات في الآية:

دعوةٌ أخيرةٌ للنَّجاةِ أُلبِسَتْ لبوسَ التَّهديدِ المؤكَّد للمعاندِ المشرك

في توالي المؤكِّدات في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ دعوةٌ أخيرةٌ للنَّجاة، أُلبِسَتْ لبوسَ التَّهديدِ المؤكَّد للمعاندِ المشرك المصرِّ على كفرِهِ وعصيانِهِ، وقد تمثَّلتْ هذه المؤكِّدات بلامِ القسم في أوَّل الفعل المضارع، والنُّونِ المشدَّدة الَّتي في آخره، وما يفيدهُ هذا

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 109، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 417، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 35.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 435.

التَّركيب من معنى القَسَمِ، والتَّعبيرِ بالعِلْم الذي يفيدُ اليقين، واصطفاءِ التَّعبير بالنَّبأ الَّذي يفيدُ أنَّ الخبر ذو قدرٍ وشأنٍ عظيم، وحصولِ العلم العاري عن الكذبِ؛ تنبيهًا على تحقيقِهِ وكونه من قِبَل اللهِ[1]، فكلٌّ هذه المؤكِّدات تلهبُ النَّفسَ خوفًا وهلعًا.

(1) الراغب، المفردات: (نبأ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»